

مجرد أن يتطوع شخص سليم، بما في ذلك أن يكون معالجا، بتمثيل أو تصوّر أو مجرد ترديد تعبير "أنا لو خفيت... إلخ" نشرة (أمس) (كيف يشفى السليم وكيف يخاف المريض الشفاء "1-4")، فإنه يبدو وكأنه يقر ضمنا لنفسه، أو للمخاطب، باحتمال أنه - من بعيد لبعيد - يحمل مظنة المرض بشكل أوبأخر:

• سواء كان مرضا كامنا

• أو احتمالا واردا

• أو ظاهرة ليس لها اسم، لكنها تتداخل مع ما هو "مرض" بشكل ما

تساؤلات

المناقشة التي دارت بعد اللعبة مباشرة كانت استثناء، من وجهة نظر علاجية، ذلك أنه ليس من المألوف ولا من المستحسن أن نناقش نتائج لعبة ما، وكل ما يُطرح - عادة - بعد أية لعبة، هو سؤال عما إذا كان قد وصل لأحد المشاركين - مرضى ومعالجين- أي جديد يختلف عما كان يعتقد سابقا حول موضوع اللعبة، سواء كان ما وصله هو من خلال أدائه شخصيا، أم من خلال ما شاهده في أي من المشاركين، مرضى ومعالجين أيضا، ونحن لا نطلب من أحد - مريضا أو معالجا - أن يذكر ما وصله، يكفي أن يقول، أو يشير إلى أنه قد وصله أي جديد يختلف عما بدأ به اللعبة أو عما قبلها، ولكن من يريد أن يذكر ما وصله لا نمنعه.

في هذه الجلسة، ولسبب سأذكره لاحقا، ناقشنا نتيجة اللعبة بشكل غير مألوف. وفيما يلي بعض التساؤلات التي خطرت لنا من خلال هذه الخبرة، كأمثلة:

1. لماذا لعب الأطباء "أنا لو خفيت" وهم أسوياء ومعالجون؟
2. لماذا لم يستعمل أي من الطبيبات المتدربات النور الأحمر (حق الاعتذار عن المشاركة)، وهن من حقهن أن يعتذرن تلقائيا
3. لماذا بدأ أغلب المرضى أقل تلقائية مما توقعنا، فيما عدا "أحمد"، وهو الذي أدى التفاعل الباكر معه إلى ابتداء اللعبة، وإلى درجة أقل أمان؟

4. هل أظهرت اللعبة جديدا فعلا خاصة فيما يتعلق بـ"مفهوم المرض"، خاصة عند صغار المتدربين، وأيضا عند واحد من المعالجين القدامى (المدرّب)؟

المناقشة التي دارت أثناء - جلسة العلاج الجمعي - بعد اللعبة مباشرة

د. مجيى: كتر خيركم، طيب أنا عاوز أسأل اللي مش دكاترة بالذات، دي حاجة كده مش للعلاج بشكل مباشر، بس هي يمكن تفيد، عايز أسأل: إزاي الدكاتره لعبوا اللعبة دي وهما باسم الله ما شاء الله دكاترة مية مية، إحنا أربعة راجين جايين بنعالج العيانيين، مش دي شغلتننا!؟! إزاي يرضى الدكتور المعالج يقول كده ببساطة يقول: أنا لو خفيت؟ هو عيان عشان يخف؟ يبقى تيجي إزاي؟ أنا بأسأل السؤال ده الأول لزملائنا اللي مش دكاترة، العيانيين يعني، يا ترى فيه حد استغرب وسأل نفسه إزاي إحنا يا دكاترة جت لنا الشجاعة إن إحنا نغامر نقول "لو خفيت"، صحيح هي لعبة وكل حاجة، لكن برضه، اللعبة مش لعبة زي ما انتو عارفين، إحنا بقينا (قدامى)، والحركات دي اتفقت شوية..

سمير: ما هو التعبان حاجس بنفسه إنه هو تعبان علشان كده حايصارح باللي جواه

د. مجيى: ده التعبان، لكن أنا بأسأل عن الدكتور، وكنت متوقع بصراحة إن الدكتورات، ولو حتى أي واحدة منهم، تقول: لأه، حاقولها بأمارة إيه؟... هو انا عيانة؟ وانتوا عارفين إن ولا واحدة فيهم ولّعت النور الاخضر لسه (أنظر الهامش 1)، يعني كل واحدة لسه من حقها تعتذر وتولع النور الاحمر

أحمد: (وهو الذي كان السبب في ابتداء اللعبة، برجاء مراجعة نشرة أمس) (كيف يشفى السليم وكيف يخاف المريض الشفاء "1-4") أنا كنت مستغرب

د. مجيى: كتر خيرك، أنا كنت بأسأل عن الاستغراب ده بالذات، يمكن يساعدنا ويساعدك تشوف البني آدمين زي ما ربنا خلقهم، إنت مستغرب؟ مش كده؟ أهوه ده اللي انا كنت متوقعه، وكان نفسي حد يقوله من غير ما اطلبه، بصراحة الفضل يمكن

للدكتورة دينا طاهر، هي التي كانت شجاعة وتلقائية، ويمكن هي التي شجعت زميلاتنا، وما فيش ولا واحده استعملت حقها في النور الاحمر. إيه رأيك يا صافية، الدكاتره عملوا كده ليه؟

صفية: علشان يشجعونا

د. مجيى: يا شيخة!! دا يبقى لعب عيال، دا لو دكتور عمل كده، يعنى بيتصنع علشان يشجع العيان يبقى كذاب، ولو هوا كذاب مش حا يعالج، لو فيه دكتور بيكذب وبيعمل حركات علشان قال إيه يساعد عيان يبقى لا يساعد ولا نييلة، بصراحة مايقاش دكتور بحق وحقيقى، ولا أقول لك: ما يقاش صنايعى زى ما بنتعلم هنا، إنت شوفتى حد فى الدكاترة هنا كان باين عليه إنه قصده يساعد حد وهو بيلعب، ولا زى ما كلنا شفنا كانت زنقة بحق وحقيق لكل دكتورة وهى بتلعب، وكان باين الصعوبة والخرج، مش خدتى بالك يا صافية من الصعوبة وازاي كل واحدة، وانا برضه زيهم، أتزنقت ولقيت صعوبة وبعدين قايست واعتمدت على ربنا ولعبت، بالذمة لعبوا عشان يساعدوكوا ازاي بقى؟ بالتصنع؟ الصنعة صنعة، مش إني ألبس كرافته علشان تقولى اليه الدكتور حاجفنى، الدكتور شخص عادى، لحم ودم، ربنا خلقه وماعندوش يافطه إنه دكتور، وفى نفس الوقت ولا حد فى كل الدكاترة هنا متعطل، ولا فيه رجة أيها حاجة عندهم إسما عيا، كلهم باسم الله ما شاء الله شغالين وملتزمين وبيضحكوا ويزعلوا وفل الفل، ومع ذلك لعبوها، يا ترى ليه، أنا نفسى أسمع رأيكوا فينا بصراحة، ما انتوا شايقين طول الوقت نشيل الحاجز اللي بينا، إن ده عيان وده سليم وده دكتور، حد دلوقتى أحمد هو الوحيد اللي وصلنى استغرابه، وأنت يا سير؟ تفتكر ليه الدكاترة قايسوا ولعبوها، قال إيه: أنا لو خفيت، ما اعرفشى إيه؟

سير: لو قلت زى صافية عشان يساعدونا، إنت قلت دلوقتى المساعده مابتنعش

د. مجيى: آه، أنا لو اتصنعت عشان أعمل نفسى عيان وخاف، عشان اساعدك، حاحس إن أنا باحتقر العيان، يعنى أعمل حاجات مش عندى علشان أساعد عيان؟؟ لأ يفتح الله، العيان حاجس إن انا باستهين بيه

سير: إنت بتعرف اللي قدامك إيه اللي جواه وبتعمل حاجة عشانه.

د. مجيى: أيوه، مش معنى كدا إني ابقى أنا مش أنا، أو أعمل حاجة عشان ترضيه وخلص، ده مش علاج ده، أنا أعمل اللي موجود بمسؤولية وخلص، يعنى الصنعة تاخذ حقها، والنتيجة الصبح صبح، هى اللي بتوجهنا، وبعدين ربنا يسهل، ما تقول يا ممدوح ليه يا ممدوح فى رأيك الدكاترة قالوا لو خفيت، لو خفيت؟ هما عيانين يعنى عشان يخفوا؟

ممدوح: ما اعرفش هما قالوا كده ليه .

د. مجيى: طب فيه حد يقول لو خفيت إلا لما يكون عيان!! ودى الحاجة اللي استغرب لها أحمد، مش كده؟

سير: مافيش حد مش تعبان يا دكتور

د. مجيى: لأه، المسألة مش تعبان نص نص وكلام من ده، دا إقرار بالعياء، وسعى ناحية الخفان، "هنا ودلوقتى"، لو خفيت يعنى اعتراف بالعياء، عايزين نفهم الحكاية دى، خفيت يعنى عندك مرض حاجف منه، مش تعبان ولا زهقان شوية وما عندكشى مانع تسميه باسم الدلع "تعب" وكلام من ده،

سير: ما هو لو مش تعبان عيا، ممكن يكون تعبان نفسياً

د. مجيى: يعنى "نفسياً" دى مش عيا؟ مش مرض يعنى؟ امال احنا بنيل إيه عمال على بطال!!! إنت مش شايق اللي حواليك والحمد لله، مش شايق نفسك، مش فاكر؟ اللي بيخرف، واللى بتسمع أصوات، واللى بنلمه بالعافية، واللى بتيجى متأخر بتتكلم بالقطارة، كل ده بتعتبره مش عيا عشان إنه نفسى، يا أخى حرام عليك، إنما الدكاتره الحمد لله ما عندهم الحاجات دى ورايحين جايين وبيعالجوا وبيشغلوا، يقوموا يقولوا لو خفيت، بأمانة إيه؟

سير: طب ماتحل لنا أنت المشكله دى

د. مجيى: مش لما أخف انا الأول!!، طب لما نسأل الدكاتره الطيبين دول، قصدى الطيبات هما عملوها ازاي؟ (متوجها إلى الطبيبات الثلاثة) إيه الشجاعة اللي جاتلكوا من غير ماتفكروا أو تترددوا، بأماره إيه تزنقوا نفسكم الزنقة المهيبة دى، أنا ماليش دعوه، أنا قلت مرة واتنين اللي عايزة تنور النور الاحمر تنوره، ولا واحده فيكوا استعملت حقها فى الاعتذار، يبقى عملتوها بكل شجاعة واختيار، ولا خفتوا على صورتكوا قدام العيان، ولا واحدة خطرني بالها إن عيان من اصحابنا هنا يمكن يقول فى نفسه "ودى حاتعالجنى ازاي، مش لما تحف الأول"، أنا مش عايز ألخ، لكن كمان مش عايز نفتكر إن اللي حصل ده ما لوش معنى كبير بصراحة، هو إيه اللي حصل بالظبط؟ ايه اللي وصل لنا من اللعبة دى؟ إيه

أحمد: عملت تقارب أكثر
د. يحيى: الله ينور، تقارب أكثر!! شكرا يا أحمد، طب نشوف واحد غيرك، إنت يا سير لما شفت الدكتاترة عملوها كده بطيبه وتلقائيه واختيار حصل لك إيه؟ أحمد سماها تقارب، إنت عملت معاك إيه يا سير؟ كلمايه كده زى أحمد، كفاية..

سير: عملية تحسين ومشاركه؟
د. يحيى: وانت عملت معاك إيه يا مصطفى؟، أديك شفت مغامرة أربع دكاترة لعبوا لعبه مش منطقية، واحد مش عيان، لأ ودكتور جدا، بيقول أنا لو خفيت، كذا كذا..، إيه رأيك؟

مصطفى: يبقى هو تعبان زي
د. يحيى: يعنى إيه
مصطفى: يبقى هو تعبان زي
د. يحيى: طب وحايعالجك ازاي، مش يتشطر على نفسه!! يا شيخ قول حاجه عن اللى انت شفته، مش اللى انت حافظه، أو اللى انت كنت عارفه قبل اللعبة.
مصطفى: زى إيه؟

د. يحيى: قصدى يعنى اللعبة قربتك منهم؟ من الدكتاترة، بعدتك؟ خلتك تشوف نفسك؟ خلتك تراجع كلمة مرض وخففان؟ إنك تفهم يعنى إيه "دكتور"، ما هم زى الفل اهم، بس ما أترددوش يقولوها ويشوفوا لو خفوا حايعملوا إيه؟ إيه رأيك يا إنصاف؟
إنصاف: مشاركة

د. يحيى: مشاركة بحق وحقيق ولا زى صفيه كده، تشجيع؟
إنصاف: بحق وحقيقي

د. يحيى: والله باينك مش واخدة بالك، وانت يا أماني؟
أماني: المشاركة حقيقي، حسيت أنهم حايحسوا بيا أكثر

سير: المشاركة، ويعرفوا يميزوا اللى قدامهم يستاهل ولا لأه
صفية: فيها مشاركة بصحيح

مدوح: مساعده للعيان

د. يحيى: مش عايز اطول، لحسن تتقلب فصل ومدرسة، أنا عادة ما باعملشى كده بعد أى لعبة، لأن تأثير اللعبة بيقل، بس الظاهر أنا بتبقى فيه حاجة علمية شاغلان، وابص ألاقياها قدام عيني، أروح محود غصين عنى على العلم والاستكشاف، بس انشاء الله مش على حساب العلاج

.....

وبعد

من نشرة أمس، واليوم، يمكن أن نعرض بعض الأفكار التي خطرت لي، دعما لفروض قديمة، أو طرحا لفروض جديدة، على الوجه التالي:

• إن من يتصور أنه سوى (سليم، عادى، صحيح)، إنما يستشعر بداخله - بدرجة ما- : ما يمكن أن يكون مرضا، حتى لو لم يحدده أو يشكو منه؟

• إن الحد الفاصل بين الصحة والمرض هو بهذه الشفافية إذا تشجعنا وغامرنا باختباره شحذا لبصيرتنا الأعمق؟

• إن الصحة درجات ومستويات متصاعدة، وأن المستوى الأدنى يمكن أن نستقبله على هامش الشعور باعتباره - نسبيا- مرضا (نسبة إلى المستوى الأعلى منه)

• إننا كما نخاف من المرض، يمكن أن نخاف من الشفاء، بمعنى اضطراب مسيرة النمو، بما يحمل ذلك من مخاطر النقلة التي كان المرض (أو الميكانيزمات العادية) يعفينا منها .

• إن مستويات الإرادة متعددة، ومتداخلة

وبعد

نأمل أن نناقش هذه الأفكار والفروض الأسبوع القادم، (الثلاثاء والأربعاء) أولا بالتعقيب على بعض الاستجابات أولا بأول، ثم بالتعقيب الختامى بعد ذلك.

(ملحوظة: كل المرضى المشاركين يعانون (أو كانوا يعانون) من أمراض جسيمة (التي يطلقون عليها عقلية) فيما عدا مصطفى، ونعتذر عن تسميته باسم محدد، لأن هذا لا يتفق مع المنهج الذى اخترناه تجنبنا للاختزال والنمطية.

تنوية: جميع الأسماء فيما عدا الأطباء مستعارة كالعادة.

- سبق أن أشرنا أن التدريب يسمح للمتدرب ولمدة غير محدودة أن يعتذر عن المشاركة في أى تفاعل أو لعبة لا يريد أن يشارك فيها، وهذا الاعتذار نسميه، إضاءة النور الأحمر، وحين يطمئن بعد أسابيع أو شهور، يعلن مرة واحدة أنه تنازل عن هذا الحق (حق الاعتذار عن المشاركة) وأنه من الآن ولع النور الأخضر، فيصبح مثله مثل سائر المرضى، ومثل المدرب، ليس من حقه الاعتذار، فالنور الاخضر يضاء مرة واحدة ولا تراجع، ولم تكن أى واحدة من الزميلات قد سمحت بذلك بعد،